

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.
فهذه كلمات أوردتها في سبيل معالجة ظهور نابتة في بلادنا لا هم لها إلا الطعن في الدعاة
إلى الله وتنفير الناس منهم والتنبيه على مثالبهم وتضخيم أخطائهم، ولو بالكذب عليهم
وتقويلهم ما لم يقولوا

مقدمة تاريخية

فلا زال أعداء الإسلام يمكرون المكر الكُبار للصد عن سبيل الله، وصرف المسلمين عن
دينهم، وقد عمدوا في سبيل الوصول إلى هذه الغاية إلى سلوك سبل شتى، لكنهم بعد
طول مراس وجدوا أن أنجع السبل وأسهلها العمل على تفريق المسلمين وبث العداوة
والبغضاء بينهم، وقد وجدوا أن تجربة الخوارج التاريخية قد أثمرت حيث قتلوا أهل
الإسلام وتركوا عبدة الأوثان؛ فعمدوا إلى خيار المسلمين من أمثال علي بن أبي طالب
وعبد الله بن خباب ومن كان مثلهم فقتلوهم بدم بارد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا،
وصدقت فيهم نبوءة رسول الله ﷺ حين قال "يخرج قوم حدثاء الأسنان، سفهاء
الأحلام، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وقراءتكم مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية"

وعوامل الفرقة بين المسلمين من السهل إذكاؤها وإيقاد نيرانها وذلك لعوامل عدة:

أولها: وجود الاختلافات التي لا بد منها؛ سواء أكانت عرقية أم عقدية أم فقهية، وقد
قال النبي ﷺ عن ربيعة "قوم يرون لولاهم لمادت الأرض" وقال لأبي ذر رضي الله عنه "إنك امرؤ
فيك جاهلية" فهذه الاختلافات إن لم يعمل أهلها على زمامها بزمام التقوى فسرعان ما
تؤدي إلى نتائج وخيمة

ثانيها: حظ النفس الذي يحمل صاحبه على الانتصار لذاته، وإن كان على يقين من كونه على الباطل، وهذا الذي حمل الخوارج الأولين على قتل ذي النورين عليه السلام بعدما زيف جميع دعاوهم

ثالثها: التنافس على الدنيا في مناصبها وأموالها وعرضها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكهم" رواه البخاري

رابعها: وجود المنافقين العاملين على خلخلة الصف وزرع بذور الفتنة؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" رواه أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خامسها: فشو الجهل وعلو صوته في مجتمع المسلمين؛ سواء أكان بصحيفة سيارة أو إذاعة مسموعة أو شريط متداول أو كتاب مطبوع، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض أشراط الساعة فقال "إن بين يدي الساعة سنوات خداعات: يصدق فيها الكاذب، ويكذب الصادق، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، وينطق فيها الروبيضة" قيل: وما الروبيضة يا رسول الله؟ قال "الرجل التافه يتحدث في أمر العامة" رواه ابن ماجه

شواهد معاصرة

1. لما اعتقل العبد الخاسر (عبد الناصر) رجال الحركة الإسلامية في مصر عمد إلى شيوخ سوء اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً؛ طفقوا يتلون على الناس قوله تعالى {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض} وينزلونها على سيد قطب وإخوانه

2. لما دخل صدام بقواته إلى الكويت في الثاني من أغسطس 1990 وعمدت بعض دول الخليج إلى الاستعانة بأمريكا وحلفائها، ورفع بعض العلماء والدعاة أصواتهم بالنكير؛ سلطت تلك الدول أبواقها من علماء السلطان يسلقون أولئك العلماء باللسنة حداد بدعوى أنهم دعاة فتنة وخارجون عن طاعة ولي الأمر موالون لحزب البعث الكافر.. الخ تلك التهم، وكان من جرائها أن دافع أولئك العلماء عن أنفسهم فصدرت بيانات وردود وطبعت أشرطة مما أوقع الناس في حيرة وبلاء مبين

3. كان في مصر رجل عات متمرد على الله اسمه (زكي بدر) وقد آلى على نفسه أن يحارب كل من يدعو إلى الله؛ فلما تطاير شره وعظم مكره وضاق الناس به ذرعاً، عزله حاكم مصر المخلوع بعدما رأى أنه قد استفذ غرضه الذي من أجله أتى به؛ فرحل الشقي إلى السعودية مستشاراً لوزير داخليتها، وهناك شكوا إليه من تنامي الصحوة وعلو الأصوات بالنكير على الحكام فيما يفعلون؛ فسألهم: عندكو كم جماعة؟ قالوا: ما عندنا جماعات؟ قال: هذا أكبر خطأ لا بد من إيجاد عشرين جماعة. ومن هناك بدأت الخطة في النفاذ حيث صار لكثير من أولئك الشتامين جماعات يعلو صوتها بالباطل والغيبة لأهل العلم بدعوى محاربة البدعة والمبتدعة؛ وبعد أن فرغوا من الشيوخ الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر حيث أودعوا غياهب السجون، صار بعضهم يهجو بعضاً، ويتهم بعضهم بعضاً، وصار صديق أمس عدو اليوم، وبعد أن فرغوا من الأحياء تحولوا إلى الأموات فطبعت الكتب التي تتهم سيد قطب مثلاً بالكفر والإلحاد والقول بوحدة الوجود والدعوة إلى الحكم بغير ما أنزل الله!!! وجلبت إلى هذه البلاد تلك الكتب بالحاويات الضخمة ووزعت بالمجان

وبعد أن كان منبت هذه النحلة في السعودية صار لها أفرع في سائر أقطار الأرض، وصار لها دعاة باسمها حتى في أوروبا وأمريكا؛ فما أن يبرز نجم داعية يتحلق الناس حوله

ويصدرون عن رأيه إلا وتتناوشه السهام تارة بأنه مبتدع، وتارة سروري، وتارة من الخوراج، وتارة إخواني، وتارة لا يحترم العلماء.. وهكذا في سلسلة طويلة من التهم الجوفاء التي لا تستند على دليل

4. في السودان لما جاءت الإنقاذ وعلموا أن خلفيتها إسلامية وكان التمرد في الجنوب على أشده وقد أوشك المتمردون على دخول جوبا، ودعا داعي الجهاد طفق هؤلاء يحدرون من أن الراية ليست واضحة، وأن القتال بين كفره ومبتدعة، وأن قتيال الجنوب فطيس لا شهيد، وصاروا يروجون خارج السودان بأن هذه الحكومة ليست إسلامية لأنها تتعامل بالربا وتتسامح في مظاهر الشرك وتمد حبال التعاون مع الروافض.. الخ تلك التهم

النتائج والمآلات

1. اغتيال الدعاة معنوياً حين تتناوشهم تلك السهام، وقد عرفنا من سيرة الشيوعيين قديماً وحديثاً اعتمادهم هذه السياسة، وكأن القوم شابهوهم فيها وهم يدرون أو لا يدرون {تشابهت قلوبهم}

2. اهتزاز ثقة الناس في الدعاة؛ فبعدها كان مبعجلاً وقوراً يذكر بالخير في كل مجلس صار نهباً لألسنة الشامتين والشامتين، يوصم في كتب مطبوعة وأشرطة موزعة بأنه جاهل وأنه مبتدع وأنه ضال مضل!!

3. صد الشباب اليافع عن مجالس العلم وحلق الذكر؛ فكم من شاب تائه أوى إلى بيت الله يبغي الهدى فما يلبث أن يحيط به أولئك الأفاكون طعناً وهمزاً ولمزاً في الداعية المتكلم؛ فيكون مآل ذلك الشاب إما أن يصير مثلهم شتاماً هجاماً، وإما أن يرجع إلى سابق عهده في التيه والضلال

4. تحطيم مقدرات الأمة في صرف الأوقات في سفاسف الأمور والانصراف عن معاليها؛ فالشباب الذي امتلاً حقدًا على حركات الإسلام العاملة لا يشعر بأدنى تعاطف مع إخوانه المسلمين ولو أصابهم ما أصابهم، ولقد رأيت بعيني في بلاد اليمن لما ضربت غزة وأبيد أهلها أواخر عام 2008؛ كان عوام أهل اليمن متعاطفين مع إخوانهم المسلمين في غزة يقتنون في مساجدهم بالدعاء لهم، وكانت مساجد هذه النحلة وكأن الأمر لا يعنيه؛ بل كان بعضهم يقول: هذا جزاء من خرج على ولي الأمر!! وولي الأمر ها هنا هو أبو مازن عميل الصهاينة والأمريكان!! والخوارج هنا حكومة حماس!! والخلاصة أنهم ساعون في تشويه كل تجربة إسلامية أينما كانت، وهم أنفسهم من نفروا الناس من طالبان بدعوى أنها تؤوي الخوارج بن لادن ومن معه!!

5. شغل الناس بعضهم ببعض ما بين راد ومردود عليه، ومتهم ومدافع

6. ظهور حركات الغلو والطرفية؛ حين لا يجد الشباب أمامهم القدوة المتبعة، بل الكل متهم مدخول في دينه، والشباب الجاهل لا يستطيع تمييز حقيقة هذه التهم؛ فيفضي به ذلك إلى محاولة الخلاص من هذا الجو بأن ينهج لنفسه نهجاً يفارق به سبيل هؤلاء وأولئك إما تفجيراً أو تكفيراً

7. تناكر القلوب وحلول العداوة والبغضاء محل المحبة والوئام؛ مما يفضي إلى شتمة أعداء الله بنا وضحكهم من حالنا

العلاج الحاسم

هذا الداء الذي ما كنا نعرفه قبل عشرين سنة مثلاً لا بد من العمل على حسمه، وإلا فالعاقبة وخيمة، ووجهة نظري أن العلاج يتمثل في خطوات:

أولها: أن يتقي الدعاة ربهم في أنفسهم وأمتهم فيشغلوا الناس بالنافع المفيد دون ما عداه، وألا يجعل أحدهم من نفسه قضية يشغل بها الناس، بل إذا شتم عرضه أو اتهم في نيته فعليه أن يعلم يقيناً أن هذا سبيل المصلحين؛ قال تعالى {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً} لكن هذا الشنن لو صدر من الكافر والملحد والشيوعي والعلماني فما أسهل أن يعرف الناس مصدره وغايته، لكن المصيبة إذا صدر من ذي اللحية الذي يتكلم بالقرآن والسنة ويزعم أنه يدافع عنهما "عليم اللسان يجادل بالقرآن"

ثانيها: أن تتصور الدولة حجم المأساة فليست القضية خلافاً بين الدعاة، بل الشأن أن أناساً موظفين من جهات الله أعلم بها للطعن في الدعاة والصد عنهم وتغيير الناس منهم، ولا أقول كلهم كذلك فبعضهم مستغفل يظن أنه يدافع عن الدين!! وما أشق أن يتصور القائمون على الدولة القضية على غير حقيقتها فيهنونوا من شأنها حتى تقع الطامة

ثالثها: أن يعلم المستولون أن الطعن في شرف الدعاة كالطعن في شرف القوات المسلحة أو كالطعن في ذمة رئيس البلاد؛ فالدعاة هم خط الدفاع الأول وهم الذين يبينون للناس الطريق، وما زالت الدولة تفرع إليهم عند الملمات، فحري بها أن تدافع عنهم وتذب عن أعراضهم

رابعها: أن يمنع من الكلام في المساجد سائر الناس إلا من حصل على رخصة من الجهة المسئولة عن أمر الدعوة في البلاد - كوزارة الإرشاد أو مجمع الفقه الإسلامي أو هيئة الدعوة الإسلامية - وقد حصل أن بعضهم قام في بعض المساجد فبدأ يطعن في فلان وفلان فضره الناس أو كادوا. وإذا كانت الدولة تمنع من لا يحمل رخصة من قيادة السيارة حفظاً لأرواح الناس فحفظ الدين من عبث العابثين أولى وأحرى

خامسها: أن تأخذ الدولة على أيدي هؤلاء السفهاء بإنزال العقوبة التعزيرية بهم؛ لأنهم
- علموا أو لم يعلموا - إنما يخدمون خط أعداء الأمة والعاملين على بقاء سفولها
وانحطاطها فكرياً وسلوكياً

والله الموفق والمستعان